[ ص 374 ] فقال : أمّـَا ما قُلْتَ مِن ألاّ َ تَقْبَلَ الحديثَ إلاّ َ عنْ ثِقَةٍ حافِظٍ عالِمٍ بما يُحِيلُ معنى الحديث : فكَما قلْتَ فَلِمَ لمْ تَقُلْ هكذا في الشهادات ؟ .

فقلْتُ : إنّ َ إحالةَ معنى الحديث أخْفَى مِن إحالة معنى الشهادة وبهذا احْتطتُ في الحديث بأكثرَ مما احتطتُ به في الشهادة .

قال : وهكذا كما وصفْتَ ولكِنّ ِي أنْكرْتُ - إذا كان مَنْ يُحَدّ َثُ عنه ثِقةً فحَدّ َثَ عنْ رجلٍ لم تعرِفْ أنْت ثقتَه - : [ ص 375 ] امْتِناعَكَ من أنْ تُقَلّ ِدَ الثقةَ فَتُحْسِنَ الظّ َنّ َ به فلا تترُكَه يَرْوِي إلاّ َ عن ثقةٍ وإنْ لم تعْرِفْهُ أنْتَ ؟ .

فقلتُ له : أرأيْتَ أربعَةَ نَفَرٍ عُدولٍ فُقَهاءَ شَهِدوا على شهادة شاهدَين بِحَقّ ٍ لِرَجُلٍ على رجل : أكنْتَ قاضِيًا به ولم يقل لك الأربعةُ : إنّ َ الشاهدَين عَدْلانِ ؟ .

قال : لا ولا أقطع بشهادتهما شيئاً حتى أعْرِفَ عدْلَهُما إمّ َا بتعديل الأربعة لهما وإمّ َا بتعديل غيرِهم أو مَعْرِفَةً مِنّ ِي بِعدْلهما .

فقلتُ له : ولِمَ لَمْ تَقْبَلْهُما على المعنى الذي أمرْتني أن أقْبَلَ عليه الحديثَ فتقولَ : لم يكونوا لِيَشْهَدوا إلاّ َ عَلَى مَنْ هو أعْدَلُ عندهم ؟ .

فقال : قد يَشْهدون على مَنْ هو عدْلٌ عنْدهم ومَنْ [ ص 376 ] عَرَفوه ولمْ يَعْرِفوا عدْلَه فلَمّ َا كان هذا موْجوداً في شهادَتهم لم يكن لي قبولُ شهادةِ مَنْ شهِدوا عليه حتى يُعَدّ ِلوه أوْ أعرِفَ عدْلَه و عدْلَ مَنْ شَهِدَ عِنْدي على عدْل غيْرِه ولا أقْبَلُ تعديلَ شاهِدٍ على شاهدٍ عَدّ َلَ الشاهدُ غيرَه ولمْ أعْرف عدْلَهُ .

فقلتُ : فالحجة في هذا لكَ الحُجّ َةُ عليك : في ألاّ َ تَقْبَلَ خبَرَ الصّ َادِق عَن منْ جَهِلْنا صدْقَه .

والناس مِن أنْ يشْهَدوا على شهادَة مَنْ عرَفوا عدْلَه : أشَدّ ُ تَحَفّ ُظًا مِنْهُمْ مِنْ أنْ يَقْبَلُوا إلاّ َ حديثَ مَنْ عرَفوا صِحّ َةَ حديثه .

وذلك : أنّ َ الرجل يَلْقَى الرجُلَ يَرَى عليه سِيما الخير فيُحْسنُ الظنّ َ به فيَقْبلُ حديثَه ويقْبَلُه وهو لا يَعْرِف [ ص 377 ] حالَه فيَذْكُرُ أنّ َ رجُلاً يُقال له : ( فلان ) حدّ َثَنِي كذا إمّ َا على وجْهٍ يرْجو أنْ يجِدَ عِلْمَ ذَلِك الحديث عنْدَ ثِقة فيقبَلَه عن الثقة وإمّ َا أن يحدث به على إنكاره والتعجب منه وإمّ َا

بِغفْلةٍ في الحديث عنه .

ولا أعْلَمُنِي لَقِيتُ أحَداً قَطّ ُ بَرِيّ ًا مِن أنْ يحدث عنْ ثِقةٍ حافِظٍ وآخَرَ يُخَالِفه .

ففَعَلْتُ في هذا ما يجبُ عليّ َ .

ولم يكن طَلَبِي الدّ َلائلَ على معرفة صِدق مَنْ حدّ َثني بأوْجَبَ عليّ َ مِن طلبي ذلك على معرفة صدْقِ مَن فَوْقَه لأني أحتاجُ في كلهم إلى ما أحتاج إليه فيمن لقِيتُ مِنهم لأنّ َ كلّ َهم مُثْبِتٌ خَبَرًا عن من فوقه ولِمَنْ دونه